المحاضرة 06: اللّغة الأمّ ولغة المنشأ

اللغة الأم أو لغة المنشأ : وهي لغة المنشأ التي يفطر عليها الإنسان في بيته الأول، ويطلق عليها اللغة الأهلية، وهي لا تتعلم أبدا بل تكتسب بالفطرة، حيث يستبطن الطفل نظامها اللغوي بفعل الاحتكاك المتواصل، وينتج بها أنماط بفعل قدرته اللغوية الفطرية انطلاقا من النموذج المثالي وقد تكون هي اللغة الأم (اللغة الأصل)، وقد تكون لهجة، أو لغة محلية، وقد تكون مكتوبة أولا تكون[1].

نشأة مفهوم لغة الأم: Langue mere

مع نهاية الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الدول المستعمرة تنال استقلالها، فحصل الحديث عن الهوية والوحدة الوطنية والشخصية والتنمية الشاملة ونظام الحكم وقد شعرت الدول الحديثة الاستقلال بتعزيز اللغة الأم بعد أن تضاءل دورها أو كاد يتلاشى أيام حكم المستعمر، وذلك من خلال اعتمادها لغة رسمية للوطن ولغة تعلّم وتعليم[2]. وانجزت في بعضها صراعات حول ترسيم اللغة الأم في منظومة التربية والتعليم، كما انجر اتجاه تحقيري في بعض البلاد، وما خرجت من ذلك الصراع إلا بعد تبني لغة أجنبية أو الإبقاء على لغة المستعمر ، وعدتها رسمية، فكانت بعد مدة زمانية لغة الأم لأجيال لاحقة، ومع ذلك فإنّه لم يكتب النجاح التام لكل الأمم التي تبنت اللغة الأجنبية، بل أصبح لها ذلك انتحارا فلم تحصد من وراء ذلك إلا الحروب الأهلية.

لم يحصل اتفاق نهائي حول مصطلح اللغة الأم ، بعدما أطلق جزافاً على اللغة الرسمية واللغة الوطنية واللغة الجهوية، وكلّ تعريف كان مصاحباً بوجهة نظر إيديولوجية، ولذلك تشعب ونال أبحاثاً كبيرة؛ خاصة عند الباحثين الغربيين، حيث أجروا دراسات مهمة بغية تحديدها بعدما أخذت تسميات: اللغة الأم لغة المنشأ اللغة الوطنية/اللغة القومية اللغة الجهوية... وهذا مع ظهور الطبقات الشغيلة في أوربا والمد القومي وظهور الحكم الكنفدرالي بل وصل الأمر أن حمل في بعض المناطق نزعة للاستقلالية (الحكم الذاتي) تحت مظلة الخصوصيات اللغوية كما ساعدت العوامل الجغرافية وفروق البيئة ظهور الاهتمام باللغات الأم. وهكذا نال التعريف دلالات متنوعة بتنوع الباحثين في هذا المجال، ونشير إلى بعض التعريفات هي:

1- **التعريف التقليدي**: ويمكن أن نسميه التعريف الأولي، وينظر إلى اللغة الأم على أنها لغة الأم بالإضافة في المقابل الفرنسي Langue maternelle وتكون الترجمة الحرفية لغة الأمومة، وفي معناها تلك اللغوي . اللغة التي تتلاغى بها أم الطفل أو تلك اللغة التي يلتقطها من أمه بحكم ملازمته لها في مرحلته الأولى من بداية اكتساب

---

[1] ينظر: صعوبات تعليم اللغة الأجنبية وتعلمها في الجامعات الجزائرية_جامعة بشار أنموذجا : د.عبد الحفيظ تحريشي،ص13.

[2] اللغة والتعليم :جماعة من المؤلفين، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، دار قابس، بيروت ، ط1.:2000، ص7.

اللغة، أو الكلام البلدي للطفل والذي يوظفه بصورة عادية في وسطه المنزلي، وهي اللغة الطبيعية التي يتلقاها دون تدريس. قد يكون هذا المفهوم (المصطلح) في أول ما أطلق صحيحاً، لكن المتغيرات الاجتماعية فندت هذا التعريف؛ إذ إنّ الأم المعاصرة أصبحت تغادر البيت للعمل، وتستعين بالحاضنة ابنة البلد أو الحاضنة الأجنبية التي لا تعرف لغة البلد، فالطفل لا يلازم أمه البيولوجية إلا ساعات قليلة، فيعيش ساعات وساعات مع الحاضنة ومع التلفاز، ومن هنا فإن هذا المفهوم لا يلبي التعريف الدقيق للغة الأم، بل ليس متطابقاً في كل المجتمعات، ودون أن نذهب بعيداً نجد أن لغة أطفال المهاجرين يتكلمون لغة غير لغة أمهم الحقيقية، وتعد بالنسبة إليهم لغة أم.

2- التعريف المنشئي: نعلم أنّ اللغة وليدة البيئة، والطفل أسير مجتمعه، فهو لا يتعلّم كلام أمه البيولوجية كما يعتقد البعض، أو كما يدل عليه المفهوم اللغوي للغة الأم؛ لأن الطفل في مرحلة التلغية ينغمس في الحمام اللغوي عن طريق أبويه أو الوسائل التي يسمع لها يومياً: تلفاز / ألعاب لغوية، كما قد يسمع في البيت والذين يتكلمان لغتين مختلفتين، ويصبح لسانه مزدوجاً، ويتأثر بهما وبالشخص الأقرب إليه، وهذا ما يراه كراشن krashen في نظرية الإدخال اللغوي على أن قدرة الإنسان على الكلام لا تأتى من التعلم الواعي الذي ينتهجه، بل من الاكتساب الذي هو معرفة شبه واعية حالما يحتك بغيره، ولا يقوم التعلم الواعي إلا بدور المحرّر أو المراقب فحسب وعلى العموم فإنَّ الطفل يأخذ الكلام من البيئة المحيطة به في سنواته الأولى، لأن اللغة عند الأطفال مسألة فضاء، فيتعلم الكلام في وقت معين، واللغة التي يتعلمها هي التي يسمعها ممن يحيطون به. فمثلاً طفل يولد من أب وأم لهم لغة ما، وينشأ في محيط غير لغة الأم والأب فتصبح اللغة الأم هنا هي لغة الشارع، وهذا ما أقره شارل أزنافور في استجواب له نشر في كتيب Le Français dans le monde1988 pp78 وبعدها يذهب المسجل إلى القرية أو المدينة أخذاً بعين الاعتبار التعبير الدقيق والنطق الصحيح لكل ما يراد معرفته والإجابة عنه في الكتاب المذكور مدونا الإجابات في الصفحات المقابلة للأسئلة، وإذا تم ارتياد المدن والبلدان المعينة على الخريطة التي وضعت أساساً للعمل، **جمعت** صيغ اللفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة وأخذ في دراستها وترتيبها من أجل وضعها في صورتها النهائية على الخريطة، ويكون ذلك بكتابة اللفظ مكان القرية أو البلدة التي يجري اللفظ فيها على ألسنة أهلها[3] .

الفرق بين الطريقتين:

تنحصر الفروق بين الطريقتين الألمانية والفرنسية في عمل الأطالس اللغوية فيما يلي[4]:

الطريقة الألمانية تمتاز بالشمول، لأنها لا تترك جهة إلا ذكرت رواية اللفظ فيها. الطريقة الفرنسية أدق من الألمانية؛ لأن المسجلين اللغويين، قد دربوا التدريب المكاني في مسائل اللغويات والأصوات، وبذلك يعدون ثقة، فيما يدونون عن الرواة اللغويين. الطريقة الفرنسية، طريقة مباشرة في الأسئلة، فليس هناك نموذج يمكن أن يؤثر على

---

[3] ينظر المدخل إلى علم اللغة، ص: 154، 155، 156.

[4] المرجع نفسه، ص: 157.

انطلاق الراوي على سجيته، بعكس الطريقة الألمانية لأن جملها الأربعين، أسئلة بطريقة غير مباشرة، قد تؤثر على لغة الراوي، ولذلك كانت الطريقة الألمانية أقل دقة من الطريقة الفرنسية في هذه النقطة كذلك.

هذه أهم الفروق بين الأطلسين فكل طريقة لها جوانب إيجابية وجوانب سلبية، في حين نجد أن الاتفاق بينهما يكمن في أن « كلا الطريقتين يشترط في الراوي اللغوي أن يكون من أهل المنطقة المدروسة الأصليين الذين لم يغادروها ولم يتأثروا بغيرهم : ثقافياً أو اجتماعياً، وأن تتوافر عنده قدر كبير من الوعي والفهم للأسئلة بحيث يمكنه الإجابة عليها دون تعثر أو انحراف[5].

3- التعريف السياسي: إنّ اللغة الأم ليست أداة اتصال تعبر بواسطتها عن المفاهيم والأفكار فقط، فهي عنصر جوهري من العناصر المكونة للثقافة والفكر والهوية، واللغة الأم التي يقر بها هذا التعريف هي التي يرسمها الدستور، وهي لغة أم فوق كل الأداءات اللغوية التي يتواصل بها المجتمع، ويعد باقيها لهجات لا ترقى حظوتها وستخلق بعدها عاميات وتصبح محل جدل. ومن هنا فيعول على المدرسة باعتبارها مكاناً لحفظ التوازنات اللغوية الإيجابية في تعميق اللغة الأم وهي اللغة الرسمية، كما أن المصلحة العامة يجب أن تكون الفيصل في المسائل اللغوية، ولا يجب أن يكون التعدد اللغوي الذي يؤدي إلى الفتنة، أو يضعف اللغة الرسمية، باعتبار البيئة القابلة للتدهور هي بيئة متعددة اللغات، وتصبح ملوّثة بالخصوص عندما تطغى فيها لغة أجنبية دخيلة على اللغة المحلية. يستهدف التعريف السياسي التوحيد اللغوي الذي هو ترميز للوحدة الوطنية، وتمكين القاعدة من فهم خطاب الحكم المركزي، وإضفاء قيمة على ثقافة مركزية، والحط من قيمة الثقافات الجهوية. وفي هذا التعريف كثرت الآراء حتى اختلطت بالجانب الإيديولوجي، إلى أن أطلق على اللغة الرسمية إسمنت الوحدة الوطنية، أو هي الجيش والنظام وهي القوة والفرض أو اليعقوبية كما هي الحال في فرنسا. ولذلك تعمل كل العواصم السياسية على حماية لغتها الرسمية بالقوانين وبالمؤسسات التي تقوم على ترقيتها.

-4- التعريف الديني: يقرب كثيراً إلى التعريف السياسي، فيرى أن اللغة من جنس الدين؛ الدين مقدّس، واللغة التي نزل بها الدين مقدسة، وتعلوا عن كل أشكال التواصل الأخرى، فهي اللغة الأم، وتمتلك سلطة ملحوظة وتمارس نفوذاً كبيراً، وتعد اللغة النموذجية التي لديها قوة فرض نفسها بسبب ترفعها عن خصائص اللهجات؛ وهذا مثل العربية عند المسلمين فتعد لغة أم بحكم قدسيتها، فهي من الواجب على اعتبار أن الدين الإسلامي نزل بها وما لا يتم به الواجب فهو واجب. وأحياناً نجد لغتين من لغات الأم، مثلما يوجد في الهند؛ فالمسلمون لغتهم الأم هي الأوردية والسيخ لغتهم البنجالية، وهذا تماشياً مع الديانة لكل إثنية منها واللغة الرسمية هي الهندية والأوردية.

---

[5] اللهجات العربية نشأة وتطوراً، ص: 404

5- التعريف الشعبوي: اللغة الأم هي لغة المساواة وتكافؤ الحظوظ، تعمل على تجنّب التمييز بين اللغات والفئات وكل لغة تواصل في البلد . هي اللغة الأم، ويمكن أن تشكل مجموعات لغوية متعدّدة، وكلها تأخذ تسمية موحدة بحكم أن لا تعالي للغة على لغة أخرى، ولو كانت هناك لغة رسمية، رغم ما فيها من تفاوت في فاعلية اللغات ودورها في المجتمع والرقعة الجغرافية التي تتواجد فيها، ومن حيث المشافهة والتحرير. وهذا التعريف يستمده بعض الباحثين من أن الشعبوبية سهلت العمل للغة Le Francien على حساب لغات أخرى، فرسمتها لغة وطنية لأنها أكثر تداولاً وأبطلت باقي اللغات، وأضحت لغة المركز والصرامة. كما عملت إسبانيا عندما رسمت اللغة القشتالية وهي لغة الأغلبية، وأصبحت معيارية وأبقت على تلهيج اللغات الأخرى، وهي لغات محلية: الكاتلان الباسك. اللسانيات التي لا تفرّق بين اللغة واللهجات باعتبار كل وسيلة تواصل هي لغة وهؤلاء يضيفون بأن كل لغة هي لغة أم، وقد يصبح في البلد أكثر من لغة أم.

6- التعريف اللساني: تقول الأستاذة Louise Dabène هي تلك اللغة التي يتلقاها في المحيط المدرسي مهما تكن الوضعية الشرعية لتلك اللغة، والتي يعيش فيها التلميذ، ومثلت لذلك بالعربية بالنسبة للجزائر " " فنرى الباحثة تؤكد شرطاً أساسياً وهو أن تتلقى اللغة في الوسط المدرسي، ولا يكفي أن تكون شفاهية تكون اللغة الأم تارة لهجة عربية وتارة عربية، وتارة لهجة بربرية، وهي في الحالتين معاً لغة شفاهية، وقد كان الانتقال إلى الكتابة يتم باللغة الكلاسيكية ". وما يقصد هنا باللغة الكلاسيكية هي اللغة الرسمية التي تعبر عبرها كل الأداءات اللغوية الأخرى.